

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة

الحمد لله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيد الأولين
والآخرين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وعلى ذريته إلى يوم الدين .
أما بعد : فقد أرسل الله تبارك وتعالى رُسُلَهُ الكرام ﷺ وأنزل
كُتُبَهُ إلى الأنام للدعوة إلى ما فيه صلاح آخرتهم وديناهم . وأعظم ما
يَصْلُحُ به أمرُ الدنيا والآخرة : هو توحيدُ الله تعالى ، فهو رأسُ الدين
وأساسُهُ ، وهو قِوَامُ الإيمان ودِعَامَتُهُ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ
إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٠﴾ .

ولا شك أن توحيد الله يقوم على إفراده تعالى بالربوبية ،
وبالألوهية ، وفي صفات الكمال المطلق :

- فلا خالق للخلق ولا رازق ولا مدبّر لهم إلا الله الواحد
- الأحد الذي لم يلد ولم يود ولم يكن له كفوا أحد .
- ولا معبود بحق إلا الله الذي لا رب سواه ولا إله إلاه ، وكل
ما عبُد من دونه تعالى فهو الباطل .

– ولا يشاركه في كمال صفاته أحدٌ سواه ، فهو المتفرد
بأسماء الجلال وصفات الكمال : سبحانه وتعالى وتقدس
وتبارك ربنا ذو الجلال والجبروت وصاحب الكمال الحي
الذي لا يموت .

ولا شك أن الإخلال بربوبية الله تعالى كفرٌ بالله تعالى ، وأن
صَرَفَ الربوبية أو بعضها لغير الله تعالى شِرْكٌ به سبحانه مناقضٌ
للتوحيد ومخرجٌ من مِلَّةِ الإسلام .

ولا شك أيضًا أن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله تعالى فقد
أشرك بالله ، فإن كان من أهل الشهاداتين قبل شركه : فقد ارتدَّ وأشرك
بصرفه العبادة لغير الله تعالى .

لكن : ما هي (العبادة) التي إذا صُرفت لغير الله تكون شركاً ؟
هنا وقع الخلط والتخبُّط عند أصحاب التوسع في التكفير بدعوى
الوقوع في (شرك العبادة) ، فكفَّروا المسلمين بتوهمهم أنهم صرفوا
عبادةً لغير الله ، ونسبوا إليهم نقض الشهاداتين ، وأنهم قد أفسدوا
توحيدهم للألوهية الذي هو دلالة شهادة الحق «أشهد أن لا إله إلا
الله» بصرف أولئك المسلمين العبادة لغير الله .

ولا شك أن تكفير المسلمين من أعظم الذنوب وأخطرها :
• أولم يثبت عن النبي ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما (1) ، وفي
حديث أبي هريرة رضي الله عنه (2) كليهما عن رسول الله ﷺ أنه قال :
«من قال لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما» .

عِظَمُ إثم
التكفير
الباطل
وخطورته
على
الإيمان

(1) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (984/2) ، والبخاري (رقم 6104) ، ومسلم (رقم 60) .

(2) أخرجه البخاري (رقم 6103) .

- ألم يقل ﷺ في حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه : « من لعن مؤمناً فهو كقتله ، ومن قذف مؤمناً بكُفر فهو كقتله»⁽¹⁾ .
- ألم يقل ﷺ في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : «إن أخوف ما أخاف عليكم رجلٌ قرأ القرآن ، حتى إذا رُئيتُ بهجته عليه ، وكان ردءاً للإسلام ، انسلخ منه ، ونبذه وراء ظهره ، وسعى على جاره بالسيف ، ورماه بالشرك» ، قال حذيفة : قلت : يا نبي الله ، أيهما أولى بالشرك : الرامي ، أو المرمي؟ قال ﷺ : «بل الرامي»⁽²⁾ .

- ألم يقل ﷺ في حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر ، إلا ارتدت عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك» ، وفي لفظ آخر : «ومن دعا رجلاً بالكفر ، أو قال: عدو الله ، وليس كذلك ؛ إلا حار عليه»⁽³⁾ .

فكيف إذا استتبع هذا التكفير الباطل استباحة الدماء وانتهاك الأعراس ونهب الأموال وتخريب الديار .

نعم .. لقد جرّ هذا التوسُّع في التكفير والغلو فيه من الولايات على المسلمين ما نشاهده في العصر الحاضر على يد الجماعات المتطرفة

(1) أخرجه البخاري (رقم 6047، 6652، 6105) ، ومسلم بلفظ ليس فيه موطن الشاهد (رقم 110) .

(2) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (301/4) ، والبزار في مسنده محسناً إسناده (رقم 2793) ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (رقم 365) ، وابن حبان في صحيحه (رقم 81) . وهو صحيح ، وقد توسعت في الكلام عنه في كتابي المرسل الخفي (974-947/2) .

(3) أخرجه البخاري (رقم 3508، 6045) ، ومسلم (رقم 61) .

الإرهابية التي استباحَت الدماء والأعراض والأموال ، وخزّبت الدول ، وفرقت كلمة المسلمين ، وشتّت جماعتهم ، وجعلتهم متعادين متباغضين ، فأفشلت دُولهم ، وأذهبت ريح قُوتهم ، وجعلتهم نهبًا للأعداء الخارجيين ، وسلَبًا للطامعين في أوطانهم وثرواتهم وجميع مقدراتهم ، وغنيمةً باردةً لكل حاقد .

لذلك كان لا بد من الرد على غلاة التكفير في هذا الباب ، ومن القيام بهذا الواجب الديني والمصلحي للبلاد والعباد .

وقد نشرت في مقاومة هذا التكفير مقالةً قديمةً بعنوان (العبادة : بَوَابُ التوحيد وبَوَابُ التكفير) في موقع مركز نماء في 15 / 2 / 1434 هـ ، وأعدت نشره في موقعي الشخصي⁽¹⁾ ، كما أنني سجّلتُ دروسًا على اليوتيوب حول شرك العبادة قبل ثلاث سنوات ، ونُشرت سنة 2020م⁽²⁾ .

وما إن أصدرتُ مقالي المنوّه به حتى تبارى غلاة التكفير بالردّ عليه : ممن يستبيح الدماء والحرّمات عملياً ، ومن قَعَدَةَ التكفيريين الذين يزينون التكفير دون الدعوة الظاهرة لاستباحة الدماء والحرّمات ، وممن يمهد لهذا التكفير التمهيدَ التأمّ بتقريره الفاسد وإن كان لم يصرّح به . ولبّس هؤلاء جميعهم على بعض طلبة العلم فضلاً عن عوام المسلمين ، واستمروا بذلك التلبّيس في تجنيد أبناء المسلمين في جيوش الإرهاب وفي القنابل الموقوتة التي تنتظر دورها للانتحاق بتلك الجيوش المجرمة المدمّرة . فكان لا بد من الرد عليهم ، وبيان

(1) <http://www.dr-alawni.com/articles.php?show=164>

(2) [https://www.youtube.com/watch?v=EdOim-DNH-g&list=RDCMUCr3zt9\(2\)6slzXB5wuUARG1xdQ&start_radio=1&rv=EdOim-DNH-g&t=564](https://www.youtube.com/watch?v=EdOim-DNH-g&list=RDCMUCr3zt9(2)6slzXB5wuUARG1xdQ&start_radio=1&rv=EdOim-DNH-g&t=564)

سقوط تقريرهم وهزال استدلالهم عليه وتهافت حججهم بأوضح بيانٍ وأخصره وأقوى رد وأيسره ، لكي يتسنى لأبناء المسلمين أن يحذروهم ، وأن يكتشفوا بُعدهم عن العلم والحق والصواب بُعد المشرقين .

فكان هذا المسعى الذي يجمع بين تمام الردّ على تقريرهم (بإذن الله) واختصاره ، ويجمع بين عمق التقرير وتيسيره (بحمد الله).

فما إن أتممته وأعدت النظر فيه ، حتى حمدتُ الله تعالى على توفيقه بتيسر العسير وتقريب البعيد ، حيث جاء هذا الكتيبُ محققاً أملي في التقرير الواضح السهل المحتجّ له بأدلة الكتاب والسنة ، وفي الردّ القوي القاصم لتقرير أهل الغلوّ بعبارات قصيرة ودلالات غزيرة ، ما كان لي أن أحقق المقصدَ منها لولا توفيق الله تعالى وعنايته .

فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، كما يحب ربنا ويرضى . وسوف أتناول هذا الخلل في التكفير من خلال العناوين التالية :

1. أصل مشكلة المكفّرين بشرك العباداة وتوسعهم في إدخال ما ليس منه فيه .

2. الآيات التي استدلّ بها المكفّرون في ادّعائهم عدم تلازم توحيد العباداة بتوحيد الربوبية ، وهي أول دليلٍ ضدهم .

3. وجودُ صورةٍ من صورِ الشرك في الربوبية لا تُعارض الإثباتَ المجمعَل للربوبية يقطع ببطلان احتجاجهم بآيات إثبات المشركين المجمعَل للربوبية . وفي هذا المبحث نقلت نصوصاً قاطعة لابن تيمية وابن القيم (رحمهما الله تعالى) تدل على خلافهما مع مدعي الانتساب إليهما .

4. النصوص الدالة على أن شرك المشركين كان في الربوبية مع شركهم في العبادة .

5. أثر تعريف (الإله) في بيان تلازم الربوبية بالعبادة .

6. أثر تعريف (العبادة) في بيان تلازم الربوبية بالعبادة .

7. تحديدهم بذكر الفارق بين العبادة وغيرها من أعمال القلوب والجوارح .

8. بعض أهم الاستدلالات الباطلة التي يفرح بها المبطلون .

أ. استدلالهم الباطل بقوله تعالى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ .

ب. تخطيهم في تحديد الشرك في الدعاء .

ج. الردُّ على ادعائهم أن وجود من كان شركه في العبادة ناتجا عن شركه في الربوبية لا ينفى وجود من كان شركه في العبادة ليس ناتجا عن ذلك .

د. ادعائهم أن من المشركين من عبد أصناما وهو يعلم أنها جمادات لا تشعر!

وأسأل الله تعالى أن يجعل في هذا المقال شفاء من داء التكفير ، وفضامًا لداء العناد والاستكبار والاحتجاج للباطل في هذا الباب ، وهدايةً لمن رغب في الهداية ، وعلمنا نافعاً لمن أراد إزاحة غشاوة الجهل عن عقله وظلام ظلمه عن قلبه .

وأختتم بالحمد كله لله تعالى كما بالخلق بداني ، وبواسع الإفضال والإنعام حباني ، وأصلي وأسلم على من به الله ربي هداني ، فاللهم

صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الْعَدْنَانِيِّ، صَلَوَاتٍ
وَتَسْلِيمَاتٍ وَبَرَكَاتٍ تَبْلُغُنِي جَمِيعَ الْأَمَانِيِّ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ مَا
تَعَاقَبَ الْحَدَثَانُ وَمَا لَاحَ النُّجُومُ الْيَمَانِي .

وكتب

أ.د. الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَوْنِيُّ

في مكة المكرمة (زادها الله تشریفًا وتعظيمًا ومهابة)

ليلة الأحد 8 / 2 / 1444هـ